فيوسف إذ كان باراً

تحتفل الكنيسة القبطية بتذكار نياحة القديس يوسف النجار يوم ٢٦ أبيب الموافق ٢ أغسطس من كل عام. هذا القديس شهد عنه الكتاب المقدس أنه "كان باراً" (مت١:١٩). فالقديس يوسف إذ إلتزم بكل شرائع الناموس يمكننا أن نستعير تعبير بولس الرسول لنصف بره هذا بأنه "بر الناموس".

لكننا نخشى أن نصير ملومين لو اكتفينا بوصف بر القديس يوسف بأنه بر الناموس. فهذا الرجل العظيم في الإيمان تشبه بأبيه إبراهيم أبي الآباء الذي: "على خلاف الرجاء آمن على الرجاء لكي يصير أباً لأمم كثيرة ... لذلك أيضاً حُسب له براً" (رو٤: ١٨،٢٢). لقد آمن يوسف النجار بما قاله له الملاك في الحلم على الرغم من عدم معقوليته. وعلى الرغم من أنه لم يكن كاهناً مثل زكريا الكاهن الذي شهد عنه الكتاب المقدس بالبر هو أيضاً إلا أنه أظهر إيماناً أعظم من إيمان زكريا الذي وجد في الحجج المنطقية الكثير من الأعذار ليقاوم بشارة الملاك له. أما يوسف البار فعلى الفور لما استيقظ "فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ إمرأته" (مت١:٢٤) وبالتالي حُسب له هذا الإيمان براً فلم يصر أباً لأمم كثيرة كإبراهيم بل نال ما هو أعظم من ذلك حيث دُعي أباً ليسوع مخلص العالم: "أليس هذا هو يسوع ابن يوسف" (يو ٦:٤٢).

إننا لو قسنا إيمان هذا الرجل البار على مقاييس الإيمان التي وصفها بولس الرسول في (عب ١١) لوضعناه عن جدارة حقيقية بين زمرة رجال الإيمان العظام.

- بالإيمان فهم يوسف البار أنه "لم يتكون ما يرى مما هو ظاهر" (عب١١:٣) فآمن بأن الذي حبل به في العذراء هو ليس من زرع رجل بل من الروح القدس.

- بالإيمان على مثال إبراهيم "خرج وهو لا يعلم إلى أين يذهب" (عب١١:٨) حيث "قام وأخذ الصبي وأمه ليلاً وانصرف إلى مصر" (مت٢:١٤).

- بالإيمان على مثال موسى هرب إلى مصر وترك إسرائيل "غير خائف من غضب الملك (هيرودس الذي قيل عنه أنه غضب جداً لما سخر به المجوس)" (عب ١١:٢٧).

- في الإيمان مات يوسف على مثال آبائه هؤلاء أجمعين الذين ماتوا "وهم لم ينالوا المواعيد بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيوها" (عب١١:١٣). لقد مات قبل أن يتمم المسيح الفداء على الصليب إلا أنه نظر الخلاص "من بعيد" إذ حمل يسوع الطفل على ذراعيه، وأعلن له الملاك عن أن يسوع سيخلص شعبه من خطاياهم، وتعجب مما سمعه من الرعاة وسمعان

الشيخ وحنة النبية عن يسوع، كما أنه أبصر يسوع جالساً في الهيكل في أورشليم في وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم.

- بالإيمان استقبل يوسف البار يسوع بالتهليل لما نزل إلى الجحيم من قبل الصليب.

"مريم هي الكنز الذي اشتراه يوسف (بالإيمان) فوجد الجوهر مخفي في وسطه". هكذا نغبط هذا القديس العظيم في ذوكصولوجيته طالبين صلواته عنا لكي نقتني نحن أيضاً عظم إيمانه.